

الصورة الأبوية لدى الطفل اليتيم الأب على ضوء اختبار رسم العائلة.

زكية بوعمرة⁵ و عبلة زيوي⁶

ملخص

يتناول هذا المقال إشكالية الصورة الأبوية لدى الطفل اليتيم من الأب، وذلك من خلال اختبار رسم العائلة. وللقيام بذلك، تم تطبيق الاختبار على مجموعة تتكوّن من 5 أطفال ذكور فقدوا آباءهم قبل سنّ الكمون. ولقد بيّنت النتائج وعي أطفال المجموعة بالغياب الواقعي للأب. ورغم غياب الأب كنموذج تقمصي ذكري، إلا أنّ الطفل اليتيم الأب يمكنه إستدخال الفروق الجنسية الذكرية والأنثوية، وهذا بفضل توفر بديل يحمل وظيفة النموذج الذكري. إذ تلعب الأم، دور موضوع السند المضاعف الأمومي والأبوي.

الكلمات المفتاحية: الصورة الأبوية؛ الطفل اليتيم الأب؛ اختبار رسم العائلة.

The parental image of the orphaned child through family drawing test

Zakia Bouamra & Abla Zioui

Abstract

This study examined the problematic of paternal image in the orphaned child through the Family drawing test. The sample consisted of 5 boys who lost their father before the latency period. The results showed that children are conscious of the real loss of their father. Despite the father's absence as a masculine identificatory model, the orphaned child manages to internalize the sexual differences thanks to the paternal substitute. thereupon, the mother plays the role of a double support object (maternal and paternal).

Keywords: Paternal image; Orphaned child; Family drawing test.

⁵ أخصائية نفسانية، مركز الرعاية النفسية والاجتماعية والصحية كافل اليتيم، البلدية.
⁶ مختبر علم النفس العيادي والقياسي، جامعة الجزائر 2، الجزائر.

مقدمة

لقد ركزت نظريات علم النفس بصفة عامة، ونظريات التحليل النفسي بصفة خاصة على أهمية العلاقة بين الأم والطفل في النمو النفسي للفرد، ولم يعد حالياً أي جدال حول هذه الأهمية. وعلى الرغم من أن العلاقة بين الأب والطفل لم تحظ بنفس الاهتمام، إلا أن بعض الدراسات أشارت إلى أهمية الأب ودوره في تشكيل الطفل لصور والديه ثابتة.

وتعتبر الصورة تصورا ذهنيا لموضوع غائب. لهذا، تتضمن صورة الأب تلك التصورات التي تنتج عن خيال الطفل، والتي تجد دعمها في الدور الذي يلعبه وفي المكانة التي يأخذها في حياة الطفل.

وحسب وينكوت Winnicott (1957) يحتاج الطفل لرعاية والديه بصورة مبكرة، حيث تساعده نوعية التفاعلات التي يقدمانها له في تحقيق توازنه الداخلي. وبناء على هذا، فإن مشاركة الأب في الاعتناء بطفله في وقت مبكر يسهل ويمكن هذا الأخير من التعرف على الصورة الأبوية الإيجابية. ويعرف وينكوت الأم الجيدة بأنها الأم التي تعرف كيف تستجيب بشكل متوازن لحاجيات رضيعها.

ومن جهته، فلقد أكد أبراموفيتش Abramovitch (1997) على أن مفهوم الأب الجيد ينبثق من مفهوم الأم الجيدة بقدر الكفاية، حيث عرفه على أنه الأب الذي يتميز بالتفاعل المتوازن مع طفله (Boucetta et al, 2012)

وبذلك، فمشاركة الأب بصورة مبكرة في رعاية الطفل والإهتمام به، تسهل لدى هذا الأخير عملية التعرف على الصورة الجيدة للأب، حيث تظهر العلاقة بين الأب والرضيع في عدة أشكال: أولاً من خلال التفاعل والاتصال المباشر بين الأب والرضيع، ثانياً بالتأثير غير المباشر للأب على الرضيع بفضل العلاقة الزوجية، أو بواسطة السند الذي يقدمه للأم ومختلف جوانب العلاقة الزوجية، ثالثاً بفضل التبادل، أي أن الأم تؤثر بطريقة رئيسية على العلاقة أب-رضيع وذلك بالدخول في علاقة واقعية واستيعابية مع الأب، أو بواسطة سماعه ما يقال عن والده من خلال كلام أمه (Lebovici, 1983).

تعتبر الوظيفة الأبوية حسب ولدوكر Widlöcher (1998) عنصراً مهماً في النمو العادي والنضج النفسي الوجداني للطفل، حيث تسمح بتشكيل قاعدة متينة للشخصية. ويرى Widlöcher أن تقمصات الطفل تتحدد بواسطة جنسه البيولوجي وبواسطة الوالد من نفس الجنس، أي بحضوره الفعال الذي يكون مهماً وأساسياً (Muldworf, 1979).

كما يشير جينيبي Juignet (2012) إلى وظيفة الأب كوسيط، حيث يساعد الطفل على تقبل الإحباطات المرتبطة بالانفصال عن أمه، واحترام القواعد المفروضة من طرفه، كما يساعده على تخفيف حركة النزوات العدوانية من خلال استدخال النظام وتحويل الأنا الأعلى البدائي الصارم إلى أنا أعلى ناضج، ولكي تتحقق هذه الوظيفة، على الأب أن يظهر جيداً بقدر الكفاية من أجل تعويض كل هذه الإحباطات.

وفيما يخص أثر غياب الأب، يشير سيغموند فرويد S. Freud إلى أنه منذ السن الثالثة، يعتبر الطفل أباه كمنافس، حيث يعارض مشاركته عاطفة أمه، ولكن بفضل سلطة الأب، يتمكن الطفل من تقبله وتطوير علاقات إيجابية معه، محاولاً اكتساب بعض صفاته ومزاياه الشخصية، وبهذا يطور الطفل علاقات موضوعية مع أمه ويتخلى تدريجياً عن رغباته الجنسية اتجاهها (حمدان، 1981).

أما كلين Klein فلقد تطرقت إلى الأب الداخلي، حيث ترى أن الأوديب يبدأ في التطور منذ السنوات الأولى من حياة الطفل، وحسب نظريتها، يعادل الأب في استيهامات الطفل الموضوع الجزئي الأمومي (José, 1984)

ويعتبر وينكوت (1957) أن للأب قيمة رمزية، فهو ضروري لمساعدة الأم على أن تشعر بحال جيد في جسدها وسعيدة في نفسها، كما يكون الأب ضرورياً لأنه يدعم ويسند معنوية الأم، وأخيراً فهو ضروري في نمو الطفل بفضل خصائصه الإيجابية.

قامت الباحثة فوغالي Foughali (1984) بدراسة جزائية تحت عنوان 'صورة الأب عند الطفل العاصمي من خلال اختبار القدم السوداء ورسم العائلة'، حيث تمثلت مجموعة بحثها في 64 ذكر و 62 أنثى، يدرسون في السنة السادسة وينتمون لعائلات عادية. ولقد تم تمرير اختبار رسم العائلة مرتين على الأطفال. حيث أشارت النتائج إلى أن الطفل العاصمي، ومن كلا الجنسين يميل إلى تفضيل الأب من خلال

ترتيب وضع الأشخاص، وإلى تفضيل الأم من خلال حجمها، إذ يدل ذلك على التفضيل العاطفي، إلا أن طريقة التعبير عن هذا التفضيل تختلف لدى الذكور مقارنة بالإناث (Foughali, 1984).

أما عن الدراسات العربية التي اهتمت بأثر غياب الأب على الأسرة، فلقد قام الديب (1993) بجمهورية مصر العربية، بدراسة مقارنة بين مجموعتي 50 طفلاً يتيم الأب و 50 طفلاً والدهم على قيد الحياة. إذ طبق الباحث مجموعة من الاختبارات لمعرفة التوافق النفسي للأيتام، وتوصل من خلال هذه الدراسة إلى أنّ الأطفال الأيتام أكثر عدوانية واندفاعاً وقلقا وأكثر توترا وشعورا بالظلم وأقل طموحاً، وأقل شعورا بالسعادة والرضا مقارنة بالأطفال الذين والدهم على قيد الحياة (الدیب، 1996).

أما دراسة نصار (1983) في لبنان، فلقد هدفت إلى الكشف عن دور الأب في الأسرة من خلال المقارنة بين المجموعات التي تضمنتها عينة البحث، حيث بلغت 215 طفلاً. وقد بينت النتائج أن اضطراب الجو الأسري لدى الأطفال المحرومين من الأب خصوصاً عند المجموعة التي فقدت الأب بالوفاة، أدى إلى نشوء صراعات واضحة لديهم، منها عجزهم عن تحقيق النضج المتلائم مع تطورهم العمري، واضطراب صورة الذات، واضطراب الهوية الجنسية، وظهور القلق والتوتر. أما الأطفال الذين يعيشون ضمن مؤسسة إيوائية وقد حرّموا من الجو الأسري، فلقد أظهروا بطءاً في النمو النفسي وتجاوز الصراع الأوديبي، حيث يعتبر غياب الأب عن ساحة نمو الطفل وإحساس هذا الأخير بذلك الغياب الدافع الأساسي لظهور القلق لديه (بلان، 2011).

تعتبر رسوم الأطفال، وخاصة رسم العائلة وسيلة تعبير أو لغة خاصة يمكن استثمارها في دراسة شخصية الطفل، فهي من الأدوات الإسقاطية. ويُمكننا رسم العائلة من فهم التصوّر الذي يبنه الطفل حول وسطه العائلي، وهذا ما أثبتته الدراسات التي قام بها عدة باحثين في علم النفس، فلقد أظهرت الدراسة المقارنة التي أجراها فونتين Fontaine (1973) بين 10 ذكور (سنهم خمس سنوات من والدين منفصلين منذ أقل من سنتين، ويعيشون مع والدتهم من دون بديل أبوي)، و 10 ذكور آخرين (من عائلة عادية ذوي والدين غير منفصلين)، أنّ كل الأطفال تمكّنوا من رسم عائلاتهم الحقيقية، وأنّ الأطفال الذين ينتمون إلى المجموعة التجريبية منحوا أهميّة أكبر للأب حيث رسموها بشكل أكبر وبعناية أكثر (Morval, 1975). نذكر أيضاً الدراسة المقارنة لـ ليغولت Legault (1973) التي شملت 21 طفلاً ذكراً توفي والدهم منذ سنة على الأقل و 21 طفلاً ذكراً والدهم على قيد الحياة يتراوح سنهم بين 8 و 11 سنة وذكائهم عادي، حيث أظهرت نتائج هذه الدراسة أنّ الأطفال الذين توفي والدهم غالباً ما تتميز رسوماتهم بوجود الصورة الأبوية، كما لديهم ميل لاختيار ذكر أصغر سناً كصورة للنقص، وكذا غياب مؤشرات تدل على تفضيل الأب.

كما قام كل من بروتجا Proteja، وباستا Vasteja و مرتينز Martinez بتطبيق اختبار رسم العائلة على أطفال لدار أيتام برتغالية يبلغ سنهم الأقصى 9 سنوات، وهم أطفال متخلى عنهم منذ الولادة، ومن النتائج التي توصلوا إليها تميّز هؤلاء الأطفال بالكف، والنمطية، والميل إلى ملء الورقة بعناصر دخيلة عن الموضوع تظهر العدوانية، إضافة إلى القلق والإفراط في تقدير الأب (Morval, 1975). إذن يعتبر الأب المجدد للسلطة، وهو يحمي العلاقة أم- طفلاً من خلال الثلاثية الأوديبيّة، كما يساعد الطفل على تحديد هويته الجنسية الذكورية، إذ يعتبر كمرجع تقمصي حيث يمكن الطفل بفضل هذه الوظائف والأدوار من استدخال صورة أبوية متوازنة، لكن إذا كان الأب غائباً قبل مرور الطفل بالمرحلة الأوديبيّة بسبب الوفاة، هل يتمكن الطفل من استدخال صورة أبوية مستقرة؟ وهل يتمكن من تحقيق سيرورة التقمص التي تساعده على تحديد هويته الجنسية الذكورية؟

للإجابة عن كل هذه التساؤلات، نفترض أن غياب الأب قبل مرور الطفل بالمرحلة الأوديبيّة بسبب الوفاة، قد يؤدي إلى ظهور هشاشة لدى الطفل على مستوى التقمصات الذكورية نظراً لغياب نموذج تقمصي واقعي، ويظهر هذا في اختبار رسم العائلة من خلال اختلال مواصفات الرموز الذكورية أو من خلال تداخل الانتماءات الجنسية الذكورية والأنثوية.

كما قد لا يتمكن الطفل من تجاوز العلاقة الثنائية مع الأم مما يطور علاقة موضوعية التحامية نظرا لغياب الأب كعامل أساسي في العلاقة الثلاثية، حيث يظهر هذا في اختبار رسم العائلة من خلال الإفراط في استثمار رسم الأم وغياب رسم الأب.

منهجية البحث

أدوات البحث

1. المقابلة العيادية نصف الموجهة

تعرف المقابلة على أنها وضعية بيفردية نشيطة، بحيث يساعد فيها الجو التحويلي على استحضار معاشات وخبرات حالية أو ماضية، بالإضافة إلى حث خيال المفحوص (Chiland, 1989).

وباعتبار المقابلة أداة من أدوات البحث العلمي، فهي تسمح للباحث الحصول على معلومات تساعد وتمكّنه من الإجابة عن أسئلة بحثه أو اختبار فرضياته دراسته (حميدشة، 2012).

وقمنا باستعمال المقابلة نصف الموجهة لجمع المعلومات الخاصة بالحالات، إذ تستند إلى تنظيم خاص مختلف عن المقابلة العلاجية، كما تسمح بالحوار وتحرّض بروز الظواهر اللاشعورية (Chiland, 1989)

2. اختبار رسم العائلة

بعد اختبار رسم العائلة من الاختبارات الشخصية ووسيلة للتقييم العيادي للطفل، حيث يستند على الميكانيزمات المرتبطة بالإسقاط. فهو اختبار إسقاطي يسمح مثلا بالوقوف على النظام العلائقي، حيث يعطي فكرة عن العائلة الخيالية التي أنتجها الطفل وهذا ما يساعده على الإسقاط بسهولة، ويعتبر هذا الاختبار بسيطا وسريع الإنجاز، كما أنّ تفسيره يسمح بوضع فرضيات عيادية حول احتياجات، واستيهامات ونكوصات الطفل التي قد تكون ذات صلة بالنظام العائلي.

لقد أشار تروب Traube (1937) إلى أول دراسة منهجية قامت بها مينكوفسكا Mainkowska، والتي ترى في هذا الرسم نمودجا مناسباً للتعبير عن الصراعات العائلية. كما سعى بروت Porot إلى تقنين هذا الاختبار، ومن حيث الترميز، فلقد قام فيما بعد كل من غوميللا Gomilla و كين Cain بتعويض المعايير المرضية ومعانيها بالمعايير العادية، حيث أكدّا على أن رسم العائلة يعطي معلومات حول الصراعات العاطفية أكثر من المعلومات حول طبيعة هذه الصراعات العاطفية.

أدخل كورمان Corman (1961) بعض التغييرات في تقنية الاختبار حيث غيرّ التعليمات من 'أرسم عائلتك' (dessine ta famille) إلى 'أرسم لي عائلة' (dessine-moi une famille).

وتعتبر تقنية هذا الاختبار بسيطة، حيث يقوم الأخصائي باستدعاء الطفل أمام طاولة و يقدم له ورقة بيضاء وقلما، كما يمكنه أن يقدم له الألوان لأنها تعطي نتائج إضافية. ويقوم الأخصائي بتشجيع الطفل بعد انتهائه من الرسم كأن يقول له 'جيد'، ثم 'إحكي لي عن هذه العائلة التي تخيلتها'، ويقوم بطرح بعض الأسئلة مثل: من هم؟ ماذا يفعلون؟ بالنسبة لكل شخص، بدءاً بالشخص الأول الذي قام برسمه، كما يطلب منه أن يحدّد دور كل شخص في العائلة، وجنسه، سنّه، ويحاول التعرف كذلك على المميزات العاطفية التي يتصفّ بها هؤلاء الأشخاص عن بعضهم البعض، ولا يجب أن تكون بطريقة مباشرة وموجهة بل بصفة غير مباشرة ودينامية تجعل الطفل يعبر عن تلقاء نفسه.

ويقوم الأخصائي بطرح الأسئلة التالية:

- من هو الأكثر لطفاً في هذه العائلة؟ ولماذا؟
- من هو الأقل لطفاً في هذه العائلة؟ ولماذا؟
- من هو الأكثر سعادة في هذه العائلة؟ ولماذا؟
- من هو الأقل سعادة في هذه العائلة؟ ولماذا؟

كما يضيف السؤال: من هو الأفضل بالنسبة إليك في هذه العائلة؟ (Corman, 1982).

يستند تحليل النتائج على دراسة سلوك الطفل أثناء تمرير الاختبار وعلى التحليل الخطّي. ويحتوي رسم العائلة على الشكل والمحتوى، لذلك فإنّ التحليل يبدأ منذ المقابلة إضافة إلى الأسئلة المطروحة (Widlöcher, 1998).

شبكة تحليل معطيات اختبار رسم العائلة:

تتكون شبكة تحليل اختبار رسم العائلة من سبعة مستويات تتمثل في:

1- الملاحظة أثناء التمرير:

ترتبط بعض الملاحظات بكلام المفحوص، وطريقة الرسم، ومراحل تشكيله للرسم وحركة الرسم وتطور الرسم الذي قد يكون مستمرا (الرأس، الجسم، الأعضاء في حركة واحدة)، أو متقطعا (مثلا رسم رؤوس كل الأجسام على حدة، ثم الأعضاء الأخرى)، منطقيا (مثلا الرأس ثم الأذرع، الأرجل) أو غير منطقي (مثلا جزء من الرأس، اليد، جزء آخر من الجسم).

أما الملاحظات الأخرى، فتتعلق بالمفحوص، كطريقته الخاصة في التعبير، وطريقة استجابته التكيفية للاختبار، وصوته، وطريقة كلامه، وكيفية مواجهته للصعوبات أثناء الاختبار. وعلى الفاحص تسجيل كل هذه الملاحظات، بالإضافة إلى زمن تطبيق الرسم حيث يضيف إلى ذلك معلومات حول المواصفات النفسية الحركية والوجدانية.

2- تركيبة العائلة المرسومة بالمقارنة مع العائلة الحقيقية:

يسجل الفاحص أسماء الأشخاص المرسومين بالترتيب، ثم يسجل السن، والجنس ودور كل فرد من العائلة (الأب، والأم، والأخ)، كما يدون أفراد العائلة الحقيقية، وأسمائهم، وسنهم، وجنسهم، وكذا الفروقات الملاحظة بين أفراد العائلة والعائلة المرسومة، ويقوم الفاحص بتوضيح أي فرد قام المفحوص بتقصه.

3- المظهر التطوري:

تهدف هذه النقطة إلى تحديد المستوى النمائي للشخص المرسوم بصورة أفضل، وذلك من خلال تقييم:

4- المظهر العام:

اتجاه الورقة: تقدم الورقة للطفل بشكل أفقي، فإذا قام الطفل بتدوير الورقة بشكل بطيء، يمكننا افتراض أنها وضعية تكيفية من أجل أن يكون أكثر راحة، أما إذا كان التدوير على شكل 90 درجة أو أكثر، فيمكننا افتراض أن هذه الاستجابة لها معنى.

النوعية: يمكننا تحديد نوعية التوظيف انطلاقا من نوعية الرسومات، فحسب دراسة أجراها أنجلهارت Engelhart (1973) على 180 ذكرا يتراوح سنهم ما بين 9 و 10 سنوات يعاني 90 منهم من اضطرابات سلوكية، تميّزت الرسومات بثغرات على مستوى التماسك و التنظيم.

وضعية الرسم على الورقة: يعتبر الحيز الذي يستخدمه الطفل من أجل الرسم مهمًا، حيث يمكننا من التعرف على الطريقة التي استخدمها في استعمال الحيز للتعبير عن معاشه الداخلي انطلاقا من الواقع الذي تمثله الورقة.

الحجم: يقاس الحجم الدقيق لكل شخص بالرجوع إلى القاعدة حسب المؤشرات الموجودة في الشبكة. فالرأس مثلا يقاس دون سماكة الشعر، أما الجذع فيقاس من الكتف (أو المتوسط بين الكتفين) إلى غاية بداية الساقين، وتقاس الأطراف من الكتفين إلى غاية الأصابع والساقين اللذان يقاسان من بدايتهما حتى الأقدام.

وبالنسبة للجذع والرأس، والأطراف والسيقان يجب أن تكون محدّدة بتقسيم الجذع بصفة متتالية من الرأس ثم الأطراف أما السيقان فبالرجوع إلى الجذع.

الخط: يميّز حسب نوعية الصفات التي تظهر في الرسم. يمكن للفاحص أن يسجل عدّة أنواع من الخطوط، كما يمكنه أن يعطي تقديرا شخصيا لغنى أو فقر الأداء في الرسم من خلال عناصر نوعية كالخط، وكمية التفاصيل، والاستعمال الحكيم للألوان والدقة التي تترافق مع الرسم.

التموضع: يقوم الفاحص بالإشارة إلى ما إذا تم ترتيب الأشخاص على خط مستقيم نسبيا أو ما إذا كان هناك ميل نحو اليمين أو اليسار، وما إذا كان هذا الميل نحو اتجاه ما مقارنة مع اتجاه آخر بصورة واضحة. كما يلاحظ ما إذا كانت المسافات بين الأشخاص منتظمة أو لا، وأيضا نوعية ترتيب الأشخاص حسب السن، والجنس، والانتماء للعائلة (في حالة العائلة المركبة)، والأجيال، أو ترتيب آخر، أو إذا لم يوجد أي ترتيب منطقي في الرسم فمن المهم الإشارة إلى ذلك.

التكرار الاعباطي: يشير الفاحص إلى نوع التكرار الموجود في الرسم الذي قد يظهر على صورتين:

صورة نمطية كبرى: أي الإنتاج صلب ومنتظم من عدة أشكال، وهذا التكرار يمتد إلى مجموع الرسم بنفس الطريقة (نفس الرسم للرأس، والأطراف، والسيقان).

صورة نمطية صغرى: أقل ضخامة، أكثر اختلافاً وتمركزاً مثل التكرار يخص شخصاً واحداً أو نفس العنصر لدى عدة أشخاص.

العوامل النكوصية: على الفاحص أن يقيم العوامل النكوصية التي تظهر في الرسم سواء كانت كبيرة أو صغيرة. يجب كذلك تسجيل ما إذا كان الرسم يتضمن تبسيطاً لكل الأشخاص، كما نسجل أيضاً في العوامل النكوصية الرسومات الغريبة أو الدخيلة على الرسم.

تموضع كل شخص:

يتم تقييم توازن كل شخص بواسطة المنقلة وملاحظة ما إذا وجد ميل يميني أو يساري وأهمية هذا الميل. وعلى الفاحص ملاحظة في أي موضع يظهر الرسم (الرسم بشكل أمامي، أو جانبي، أو من وراء). ويمكن أن يكون في وضعيتين مثلًا جالس وجانبي، كما يجب ملاحظة وضعية الجسم وحركته إذا وجدت، بالإضافة إلى تناسق جانبي الجسم وأعضائه.

اللون: يسجل الفاحص ما إذا كان الرسم أحادي اللون، وفي هذه الحالة يحدّد اللون المستعمل، وفي حالة استعمال عدة ألوان يسجل عددها ثم يقوم الفاحص بتقييم نوع الألوان المستعملة (دافئة، باردة أو ممزوجة)، كما يهتم بدرجة اللون هل هي شديدة أو خفيفة وتوزيعها على الورقة وعلى الأشخاص.

التعبير: يهتم العيادي بتعابير كل شخص: مبتسم، حزين، قلق، عدواني ...

5- جانب التفاصيل:

نوع التفاصيل: يشير الفاحص إلى نوع التفاصيل المستخدمة من طرف الموضوع، إذ من المحتمل أن يرسم عدة تفاصيل.

تفاصيل جسدية: ينظر العيادي في المستوى العام للتفاصيل هل هي نفسها نسبياً من شخص لآخر أم توجد اختلافات، وماهي هذه الاختلافات، ثم يقوم بدراسة كل جزء من جسم كل شخص (الشعر، الرأس، الحاجبان، العينان، وجهة النظر، الأنف، الفم، الأذن، اللحية والشارب، الذقن، الرقبة، الكتفان، الصدر، السرّة، الأعضاء الجنسية أو الداخلية وكذلك الأعضاء العلوية والسفلية)، ويقوم بتقييم نوعية هذه التفاصيل من حيث الدقة، والبروز، والغرابة، فوجود بعض التفاصيل كالأعضاء التناسلية له معنى إكلينيكي.

الجنسية: يسجل الفاحص ما إذا كانت هناك إشارة للجنسية من طرف الموضوع من خلال بعض التفاصيل كالشعر، الإكسسوارات، الملابس.

الإضافات: يشير إلى الإضافات في الرسم كالحوانات مثلاً.

الجانب العيادي:

في هذا الجزء يقوم العيادي بتسجيل ملاحظات مختلفة قام بها سواء أثناء تمرير الاختبار أو أثناء تنقيط المستويات السابقة للشبكة، ويقترح فرضيات مفسرة استناداً على عناصر تم تحديدها مسبقاً.

التفضيل أو عدم التفضيل: يهتم الأخصائي بالأشخاص المفضلين أو غير المفضلين من خلال بعض خصائص الرسم: الخط، الحجم، الأبعاد أو النقص في التفاصيل.

التقمص: يحدّد الأخصائي تقمصات الموضوع انطلاقاً من تعبيره ومن خلال مؤشرات التفضيل وعدم التفضيل، ثم يقوم بوضع فرضيات حول المسائل والمشاكل التقمصية.

تنظيم الشخصية: يحاول العيادي انطلاقاً من ملاحظاته تحديد نوعية التنظيم النفسي للموضوع، ويقوم بدراسة خصائص تنظيمه النفسي، نوع القلق لديه، الميكانيزمات الدفاعية قوة وهشاشة الأنا ونوعية الأنا الأعلى.

تحليل العلاقات بين الأشخاص: يحلّل العيادي العلاقات بين الأشخاص من خلال المعلومات التي سبق أن حصل عليها، ومن خلال ملاحظاته عن وضعية الأشخاص في الرسم والعلاقات المتبادلة بينهم. وبهذا يشكّل فرضيات حول العلاقات الموضوعية للموضوع، التنافس الأخوي، وجود أو غياب الصراع الأوديبية إضافة إلى حل هذا الصراع أو شكل وكثافة هذه الإشكالية.

ملاحظات أخرى: إذا وجدت يسجلها ويسجل تعليقاته.

6- الفرضيات التشخيصية المتعلقة بالمعلومات الأخرى:

يقدم العيادي في هذا القسم ملخصاً لكل المعطيات والفرضيات التي ظهرت خلال التحليل، ويبسط فرضياته الأخيرة من خلال تحليل التواصل مع الواقع، والمستوى البياني، ودرجة الإستثمار، والعلاقات العائلية، والدينامية العاطفية ونوعية الدفاعات والعناصر المرضية (Délépine, 2000).
عينة البحث

بما أنّ موضوع دراستنا يتمثل في دراسة الصورة الأبوية عند الطفل اليتيم الأب، فلقد احتوت مجموعة بحثنا على فئة يتامى الأب، مما جعلنا نقصد مركز الرعاية الصحية، النفسية والاجتماعية كافل اليتيم ببني مراد- البليدة -، وهو مركز تابع للجمعية الخيرية كافل اليتيم.
بعد الاطلاع على الملفات، تمّ انتقاء خمسة حالات تتوفر فيها المعايير التي سبق ذكرها، وهي مفصلة في الجدول الآتي:

الحالة	الرمز	سن الحالة عند وفاة الأب	السن الحالي للحالة
1	أ	4 سنوات	9 سنوات
2	ب	4 سنوات	8 سنوات
3	ج	4 سنوات	8 سنوات
4	د	2 سنوات	9 سنوات
5	هـ	4 سنوات	12 سنة

جدول 1: مميزات عينة البحث.

تتضمن عينة البحث 5 حالات، يتراوح سنهم بين 8 و 12 سنة، أمّا سنهم عند وفاة الأب فيتراوح بين 4 سنوات بالنسبة ل 4 حالات وستين بالنسبة لحالة واحدة.

عرض النتائج ومناقشتها

توضّح النتائج أنّ معظم الحالات قامت بتقديم طلبات وأسئلة، مما قد يشير إلى حاجتهم لموضوع سندي، كما نلاحظ أنّ ثلاث حالات قامت بتمثيل عائلاتها الحقيقية، إثنين من الحالات لم يقوما برسم أنفسهم، مما قد يشير إلى صعوبتهم في التعامل مع إشكالية التعلّق كما نجد حالتين لم تقوما برسم العائلة مما قد يشير إلى تجنبهم التعامل مع الوضعية لأنّها قد تحيي المشاعر الاكتنابية التي يصعب التعامل معها.
ويوجد تفاوت بين الحالات في تقديم التفاصيل المتعلقة بالأشخاص المرسمين، حيث أنّ كل من الحالة أ والحالة ج قدّما تفاصيل أقل مقارنة مع الحالة ب، وعند الرجوع إلى معدّلاتهم المدرسية نجد أنّ الحالة ب لديه معدّل جيد مقارنة مع الحالتين أ و ج مما قد يشير إلى تفوق الحالة ب في الذكاء عن الحالتين أ و ج.
اختلف وضع الفروق الجنسية عند الحالات حيث أنّها كانت أكثر وضوحاً في الحالة أ مقارنة مع الحالة ب والحالة ج.

حافظت كل الحالات على وضعية الورقة أي بشكل أفقي ما عدا حالة واحدة، كما نجد أنّ كل الحالات قامت برسم تفاصيل الجسم بنفس الطريقة عند الأشخاص المرسمين.
اختلف التفصيل في رسومات الأطفال من حالة لأخرى، ويرجع غياب رسم الأب عند حالتين من الثلاثة حالات إلى وعي الأطفال بالغياب الواقعي للأب حيث أنّهم خلال المقابلة تمكّنوا من التكلّم عنه.

رمز الحالة	أ	ب	ج	د	هـ
الملاحظة خلال التمرير	- قبل إجراء الإختبار - تقديم الأسئلة - التركيز خلال الرسم	- وافق على إجراء الرسم، لكنه أراد الإنتهاء من ذلك. - طلب إعادة التعليم. - استغرق مدّة قصيرة في الرسم	- قبل إجراء الإختبار. - طلب المحاة - طرح بعض الأسئلة	- قبل إجراء الرسم. - عدم رسم عائلة	- قبل إجراء الرسم. - طلب المسطرة والممحاة. - لم يرسم

عائلة			(4 دقائق)		
عائلة	لم يرسم العائلة	رسم العائلة الحقيقية. - لم يقم برسم نفسه. - قام برسم الأب.	رسم عائلته الحقيقية. - غياب تمثيل الأب.	- رسم عائلته الحقيقية، لكن بشكل ناقص. - لم يمثل نفسه ولم يمثل الأب.	تركيبية العائلة المرسومة مقارنة مع العائلة الحقيقية
/	/	- لم يرسم الجذع كل الأشخاص - لم يرسم الرقبة.	- رسم كل عناصر الجسم لدى كل الأشخاص	- رسم الجنس الأنثوي بتفاصيل أكثر مقارنة بالجنس الذكري. - لم يرسم بعض الأجزاء لدى بعض الأشخاص	الجانب التطوري
/	/	- عدم المحافظة على وضعية الورقة (عموديا). - الرسم في الجهة العلوية على صفيين. - رسم أشخاص ذوي حجم مصغر. - التكرار في طريقة رسم تفاصيل الجسم عند الأشخاص، شكل الفم، العينين. - استخدم الألوان. - رسم أشخاص بتعابير غير واضحة -إعطاء عنوان للرسم	- حافظ على وضعية الورقة أفقيا. - قام بالرسم في الجهة اليمنى لكن في اتجاه اليسار مع وجود فراغ كبير. - رسم أشخاص صغار الحجم. - الضغط على القلم، وعدم وصل الأعضاء جيدا في الجسم. - رسم نفسه بالقرب من أمه وفي نفس المستوى واحد، أما أخته فتبدو بعيدة عنهما نوعا ما - عدم استخدام الألوان - رسم تفاصيل الأشخاص بنفس الطريقة - رسم على خط مائل نوعا ما من الأسفل إلى الأعلى ومتجها من اليمين	- حافظ على وضعية الورقة بشكل أفقي. - الرسم موزع على كل الورقة - قدم أشخاصا غير مكتملي العناصر وبحجم متوسط. - قام الطفل برسم الأشخاص بتعابير الإبتسامة. - استخدم الألوان. - يوجد تشابه في رسم التفاصيل الجسدية بين الأشخاص إلا أنه يوجد اختلاف في رسم تفاصيل وجه الأم مقارنة مع الأشخاص الآخرين	المظهر العام

			إلى اليسار.			
	/	/	- لم يرسم كل تفاصيل الجسم: الأصابع، الرقبة، الذراع. - لا تظهر الفروق الجنسية بوضوح.	- قام برسم كل عناصر الجسم. - توضيح الفروق الجنسية من خلال الشعر فقط. - رسم كل الأشخاص بأيادي مفتوحة.	- أشار الطفل للفروق الجنسية في رسمه من خلال اللباس الشعر، الألوان	جانب التفاصيل
	/	/	- تفضيل الاب - لا تظهر نوعية العلاقات بين الأشخاص لوجود عزل بينهم.	- تفضيل الأم - التفريق بين الجنسين من خلال الشعر - لا تبدو علاقات إيجابية بين الأشخاص حيث تظهر تعبير خوف. - عدم رسم الأب بسبب الغياب الواقعي	- تفضيل الأم وتقمصها. - تبدو علاقات طبيعية بين الأفراد حيث رسمهم مبتسمين ومتقاربين من بعضهم البعض. - عدم رسم الأب بسبب غيابه الواقعي	الجانب العيادي

جدول 2: نتائج البحث

تقديم الحالة أ:

1. معطيات المقابلة وتحليلها

يتعلق الأمر بالطفل أ الذي يبلغ 9 سنوات، وهو الثاني في الترتيب بين إخوته، له أخت كبرى عمرها 19 سنة وأخ أصغر عمره 4 سنوات، توفي والده عندما كان عمره 4 سنوات بسبب مضاعفات صحية ناتجة عن حادث مرور، لم يترك الأب أي مدخول لعائلته مما جعل الأم التي تبلغ 39 سنة تعمل في مطبخ مدرسة.

يعيش الطفل حالياً مع أمه وعائلتها (الجد، الجدة، الخال، الخالة، ومؤخراً التحق بهم خال آخر مع زوجته وأولاده) في منزل صغير جداً مقارنة مع عددهم (غرفتين ومطبخ) مما يخلق توترات وصراعات تجعل من المنزل العائلي مصدراً للقلق.

مرَّ الحمل بشكل عادي رغم تعب الأم 'عياني بزاف'، بالنسبة للولادة فلقد تمت بصورة طبيعية. أما عن نمو الطفل، فلقد كان عادياً، إلا أنه خلال السنة الأولى والنصف من حياته تميَّز بضعف الشهية، غير أنه تحسَّن إلى أن توفي أبوه، حيث انخفضت شهيته، أما فيما يتعلق بالنظافة، لم يكن يتحكم في التبول على عكس التحكم في التبرز الذي تعلمه في سن مبكراً، لكن مؤخراً أصبح يتبرز في ملابسه. وكل هذه العلامات قد تدل على السلوك النكوصي الذي يعبر عن عدم النضج العاطفي لدى الطفل.

ينام الطفل أ في غرفة واحدة مع أمه، وإخوته والخالة لكن في سرير بمفرده. وحسب الطفل وأمّه، فنومه عادي على الرغم من أنه يستيقظ في بعض الأحيان بسبب أحلام تزعجه 'نمت زعما ماما كانت واقفة ماني (أشار إلى اسم أخته) وجدو كنا قاعدين في الفراش وبابا طلع في الدرج وهكذا بالحديد في يديه في الحبس وماما قالت بعديه وماما كانت تدعي قل أعوذ برب الفلق وأنا كنت نقول بابا روح هيا روح!'. يشير محتوى

الحلم إلى أن طلب الطفل من والده الرحيل ربما يرتبط برغبته في أن يبقى. وكدفاع ضد مشاعر التبعية والاكتمال المرتبطة بوفاة الأب، تظهر المشاعر العدوانية من خلال الحلم، كطريقة للتمكن من القيام بعمل الحداد والتكيف مع غياب الأب.

يدرس الطفل أ في السنة الثالثة ابتدائي، وقد أعاد السنة الثانية، لديه العديد من الأصدقاء الذين يلعب معهم ولا يتشاجر كثيرا، مما يشير إلى أن طفل يرغب في بناء علاقات إيجابية.

تصف الأم طفلها على أنه غير نشيط ويتم استغلاله من طرف الجميع 'مايعجبنيش في الواسمو نتاعو جاي كيما باباه جاي ثقيل ويحقره لي تفلو روح أشريلي يروح يشريها مايقولش كامل لالا'. والجميع ينادونه بأسماء غير لائقة 'بهلول، جايح، مهبول، خوك خير منك' وأصدقاءه يستهزؤون به بسبب لون بشرته الداكن، وهو يرى أن أخاه أفضل منه 'يحقرني'، وهذه مؤشرات تدفعنا للقول بأن للطفل ميولات مازوشية نظرا لخضوعه لسوء المعاملة وتقبله للشتم.

وفي هذا الإطار تقول الأم عن ابنها أنه أصبح مؤخرا منعزلا 'يحكم كوانة ويقعد'، أما فيما يخص الأب فتري الأم أنه غير مسؤول 'ماعدوش مسؤولية'، لكنها تحبه كثيرا ولم تستطع بدء حياة جديدة مع شخص آخر من بعده على الرغم من توفر الفرص. وأن وفاته أثرت عليها كثيرا 'أثر عليا بزاف الوفاة نتاعو حاجة راهي ناقصتي'، وأنها لم تتمكن من نسيانه وأحيانا تفكر في أنه لم يميت لأنها لم تر جثته فقد كانت في بيت أهلها. يبدو من خلال تعبير الأم صعوبة قيامها بعمل الحداد نظرا لغياب السند الواقعي لموته، مما يجعل الاعتراف بموته صعبا. وأمام ذلك نجد الأم تحاول التعامل مع المشاعر الإكتئابية الناتجة عن غياب الأب، وذلك بإسقاط المشاعر العدوانية على صورته كمحاولة لنزع الاستثمار كقولها أنه لم يكن مهما في حياتها وتصل إلى حد إسقاط هذه المشاعر على الطفل أ 'جاي كيما بباه ثقيل ويحقره'، حيث أنه يشبه والده خاصة في لون بشرته.

خلال المقابلة كان الطفل أ كثير الابتسامة، ويتكلم من حين لآخر على الرغم من وجود مشكل في نطق بعض الكلمات مثل (حسين: حثين). وعندما كانت الأم تتحدث عن الأب لاحظنا أن الطفل كان مهتما بكلامها ويوقفها من حين لآخر ليكمل هو الحديث، فمثلا عندما كانت تتكلم عن كيفية تلقيها خبر وفاة الزوج وكيفية ذهابها إلى الجنزة لم تكن تذكر بعض التفاصيل فكان الطفل يذكرها بها ويتكلم عنها كأنه يشاهد هذه الواقعة أمامه ويقوم بوصفه مما قد يشير إلى الطابع الصدمي للحدث.

2. معطيات اختبار رسم العائلة وتحليلها:

● الملاحظة خلال التمرير:

كان قبول الطفل أ إجراء الرسم جيدا، على رغم تقديمه لبعض الطلبات كالأسئلة (نرسم لي نحبهم؟) وطلب المحاة، أما خلال الرسم، فلقد تميز الطفل بالتركيز، مما يدل على اهتمام الطفل بالموضوع.

● تركيبة العائلة المرسومة مقارنة مع العائلة الحقيقية:

تتكون العائلة التي يعيش معها الطفل من الجد، والجدة، والخال والخالة وخال مع زوجته وأولاده بالإضافة إلى أمه وأخته وأخوه، أما في الرسم فنلاحظ أنه قام برسم 6 أشخاص كلهم من عائلته الحقيقية، أي أن الأشخاص المحذوفين هم الخال العازب والخال المتزوج كما لم يتم رسم نفسه ولم يتم تمثيل الأب.

● الجانب التطوري:

عند ملاحظة الرسم الذي قدمه الطفل، نجد أن الأشخاص تنقصهم بعض التفاصيل كاليد، والأصابع، والرقبة، والجذع، والأقدام بالنسبة للذكور، وفي هذا السن (9 سنوات) ننتظر من الطفل أن يقدم لنا عناصر أكثر. على عكس ذلك، فلقد رسم الطفل أشكال عسوية، لم يوضح فيها أعضاء الجسم كلها، كما نلاحظ أنه قدم تفاصيل أكثر للإناث مقارنة بالذكور.

● الجانب العام:

قام الطفل بالمحافظة على وضعية الورقة أي بشكل أفقي، حيث استثمر كل مساحة الورقة مع وجود بعض الفراغات في الجوانب السفلية. أما حجم الأشخاص المرسومين، فهو متقارب، حيث نجد تشابها في رسم عناصر الجسم (العينان والأنف والفم) وتشابها في الجزء السفلي بالنسبة للإناث، وقد رسمهم موزعين

على صفيين ومن دون أي ترتيب واضح. كما نلاحظ أنّ الطفل قدّم لهم سنا لا يتوافق مع أدوارهم مما يدفعنا إلى القول بأنّ الطفل لديه صعوبة في التفريق بين الأجيال. ولقد قام الطفل باستخدام الألوان مما يدل على وجود دينامية عاطفية، لكن نلاحظ أنّه استخدم اللون البنفسجي لمعظم الأفراد، وحسب لوهانس Lachance وآخرين يعتبر هذا اللون علامة على الحزن والغموض. كما نلاحظ أنّه استخدم الألوان مع الجنس الأنثوي فقط، أما حسب كورمان Corman (1982) فيتم استخدام العناصر الإضافية للأشخاص المفضلين.

• جانب التفاصيل:

أثناء الرسم كان الطفل ينتقل بين الأشخاص ما عدا رسم الأم والأخت، حيث أنّه بعد الانتهاء من رسم الأم أصبح ينتقل بين الشخص 2 و 3. وبعد الانتهاء من رسم الأخت أصبح ينتقل بين الشخص 5 و 6. ونلاحظ وجود تشابه في طريقة رسم الأشخاص (نفس رسم شكل الفم، والعينين والرأس...)، إلا أنّه يوجد اختلاف في رسم تفاصيل وجه الأم مقارنة مع الأشخاص الآخرين، ولقد أشار الطفل للفروق الجنسية في رسمه من خلال اللباس، والشعر والألوان.

• الجانب العيادي:

يظهر تفضيل الطفل لأمه من خلال الرسم، حيث بدأ برسمها، وقدم لها تفاصيل وعناصر إضافية مقارنة مع الأشخاص الآخرين، مما سمح له بالتعبير الوجداني من خلال استخدامه للألوان ورسمه لأشخاص ميتسمين. ويشير غياب رسم الأب الذي يرجع لغيابه الواقعي نتيجة الوفاة، على وعي الطفل بذلك حيث لاحظنا أنه كان يتكلم عن والده من خلال المقابلة.

• الفرضيات التشخيصية المتعلقة بالمعلومات الأخرى:

من خلال المقابلة واختبار رسم العائلة (أنظر الملحق رقم 1) نجد أن الطفل أ قد عبّر عن الفروق الجنسية الأنثوية والذكورية وهذا لتوفر النماذج الذكورية في محيطه العائلي، إلا أننا نجد لديه ميول إلى الاستثمار الأنثوي، حيث يظهر ذلك في رسم العائلة من خلال تمييز الإناث بالألوان وكثرة التفاصيل الخاصة بها مقارنة بالذكور مما قد يوحي بارتباط القطب الذكري بالمشاعر الإكتئابية.

كما نلاحظ أن الطفل لم يقدّم تمثيل نفسه في الرسم، مما قد يشير إلى شعور الطفل بالدونية وعدم وجود مكانة له في العائلة، بالإضافة إلى إفراطه في استثمار الأم، حيث قام بتمييزها بعناصر أخرى كالأسنان والحذاء بالكعب الذي قد يأخذ معنى قضيبتي بالإضافة إلى إجابته عن سؤالنا: أنت في هذه العائلة من تفضل أن تكون؟ ب (كيما ماما) والذي يجعلنا نقول أنّ الطفل لديه القدرة على تمثيل الأم في رسم العائلة مع أفراد آخرين، غير أن إفراطه في استثمارها قد يدل على تمثيل الأم كموضوع سند مضاعف له (أمومي وأبوي).

خاتمة

من كل ما سبق، نستنتج أن غياب تمثيل الأب في رسم العائلة للأطفال اليتامي الأب راجع لوعيهم بالغياب الواقعي له، وليس لتشكّل صورة أبوية هشّة، حيث أنّ كل الحالات تكلمت عن الأب منذ المقابلة العيادية. ورغم الغياب الواقعي للأب كنموذج تقمصي ذكري، إلا أنّ الطفل اليتيم الأب يمكنه استدخال الفروق الجنسية الذكورية والأنثوية. وهذا لتوفر بديل في محيطه يحمل وظيفة النموذج الذكري، غير أنه قد ينتج عن الغياب الواقعي للأب صورة مركبة للأب تحتوي على عناصر أنثوية وذكورية وبهذا تصبح الأم موضوع سند مضاعف (أمومي، وأبوي) يسمح للطفل بالتعامل مع غياب الأب.

المراجع

- بلان بك. بي (2011). الإضطرابات السلوكية و الوجدانية لدى الأطفال المقيمين في دور الأيتام من وجهة نظر المشرفين عليهم، مجلة جامعة دمشق، دمشق، ص 177-218.
- حمدان م. ز (1996). غياب الأب وأثره في تطور شخصية الطفل. دار السعودية للنشر، جدة.
- محمد الديب ع (1981). بحوث في علم النفس على عينات مصرية، وسعودية، وعمانية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- Boucetta. S et al. (2012- 2015). Impact de l'absence de la figure paternelle sur le développement de l'enfant, IRFSS Site IFSI Croix-Rouge promotion.
- Chiland. C. (1989). L'entretien clinique, Paris: PUF.
- Corman. L. (1982). Le test du dessin de famille, Paris: PUF.
- Délépine. S et al. (2000). Le dessin de la famille, France: Enrichie.
- Foughali. M. J. (1984). L'image du père chez l'enfant algérois à travers le dessin de la famille et le test Patte Noire, Alger : OPU.
- Juignet. P. (2012). Fonction paternelle. Le rôle du père dans la structuration psychique, Paris: psychisme.
- Lebovici. S. (1983). Le nourrisson, la mère et le psychanalyste, Paris: Paidos.
- Morval. M. (1975). Le dessin de la famille d'enfant privé de père, Enfance, Paris, volume 28-1 pp 37-45.
- Muldworf. B. (1979).Le métier de père, Paris: Casterman.
- Porot. M. (1967).L'enfant et les relations familiales, Paris: PUF.
- Widlöcher. D. (1998). L'interprétation des dessins d'enfants, Paris: Mardaga.
- Winnicott. D. W. (1957). L'enfant et le monde extérieur, Paris: Payot.

ملحق: رسم العائلة للطفل أ

